

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- كان الحديث توقف بنا عند قوله -رحمه الله-: "وأُسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بجسده، على الصحيح من قول الصحابة والعلماء" إلى آخره.
- حَدَّثُ الإسراء والمعراج -أيها الإخوة والأخوات الجميع معنا-، كان من الأحداث الشهيرة جدًا في السيرة، وسبب الشهرة فيه أمور:
- **أولها:** هذه القدرة العظيمة، والآية الكبيرة، التي أجراها الله -سبحانه وتعالى- في هذا الحدث العظيم، الذي جعل بعض الناس يكذب به؛ لأنه أمرٌ خارقٌ للعادة.
- ولاحظوا عبارة ابن كثير، يقول: "وأُسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بجسده على الصحيح" لماذا قال: "على الصحيح من قول الصحابة والعلماء؟"
- لأن من أهل العلم من قال: إنَّ الإسراء وقع بروحه لا بجسده، وهذا كما قال المؤلف: يعني: يشير إلى ضعفه، الصواب خلافه، وأنَّ الإسراء وقع بالروح والجسد، وذلك لأمرين:
- **الأول:** أن الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1] ووصف العبد هنا ينطبق على الروح والجسد.
- **الثاني:** كما قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله-: "نظرًا لأنه أمرٌ عظيمٌ وكبيرٌ، نزه الله -سبحانه وتعالى- نفسه، وذكر التسبيح تعظيمًا وإجلالًا لهذا الحدث العظيم".
- **الثالث:** لو كان الإسراء بالروح فقط، لما كان معجزةً، أو لما كان آيةً، لماذا؟ لأن هذا يقع، انتقال الروح من مكانٍ إلى مكانٍ، من مكة إلى أقصى إلى الشام، ما هو معجزةٌ، يعني الواحد من الآن وهو في السعودية، ينام، أو في أي مكانٍ في العالم، ينام، وتذهب روحه إلى أقصى الأرض، يعني يرى منامًا، يعني الإخوة عندنا أناسٌ مثلاً من بنين، ومن ساحل العاج، وعندنا من اليمن، قد يكون سافر إلى بلدٍ، هو هنا، وروحه هناك، أليس كذلك.
- الواحد منَّا قد يكون سافر إلى أمريكا، أوروبا، فتذهب روحه، فهذا ليس بمعجزةٍ، إذن الإعجاز يتحقق بأن يكون بالروح والجسد، ثم إن الله -عزَّ وجلَّ- لما ذكر شأن المعراج، عندنا إسراء، وعندنا معراج، الإسراء من مكة إلى

الشام، والمعراج من الشام، أو من المسجد الأقصى إلى السماء، حيث بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- السماء السابعة، وكلمه ربه -عز وجل- كفاحًا من غير ترجمانٍ.

• مما يؤيد، أو يقوي، أو يصحح هذا القول: أن الله ذكر في سورة النجم، أوصافًا وأحوالًا، لا يصلح نسبتها إلى الروح وحدها، ماذا قال الله؟ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18]، وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17]، كل هذه أوصافٌ للجسد والروح.

• والمؤمن الذي يؤمن بقدرة الله -عز وجل-، وأنه على كل شيء قديرٌ، لا يستبعد هذا، فالله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قادرٌ على أن ينقل جسدًا بهذه السرعة، أليس الله -عز وجل- ذكر في كتابه في قصة سليمان، لما أرسل الهدية إلى بلقيس، قال: ﴿يُكْمَلُ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: 38] السير حق الملك هذا ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ * قَالَ عَفْرِتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ﴿[النمل: 38، 39]، المقام هذا ضحوة من النهار، مسافة قصيرة، فكيف بليلة كاملة؟ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 40]، وانظر إلى ألفاظ القرآن، وكيف بلاغتها في إظهار هذه الآية بأعلى الصور، قال الله -عز وجل- في قصة سليمان هذه، انتبهوا، الآن سأمسك كأس الماء حتى تعرفوا بلاغة هذا اللفظ القرآني، قال الله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: 40] أنا لو أتيت الآن بهذا الكأس، لعل المخرج يسلط الضوء على يدي الآن، لو أتيت أنا الآن أمشي بسرعة، والكأس في يدي، ماذا سيكون حال الماء؟ يحصل له ترجح، ثم قد يخرج شيء من الماء، لو كنت أمشي بهدوء، فإن الماء ستراه مستقرًا، كأنه لم يتغير، أليس كذلك؟ انظر كيف وصف القرآن هذا العرش العظيم ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ كأنه منذ زمين قد أتي به.

• في العادة الشيء إذا جيء به بسرعة، يكون ملخبطًا، الآن أنا لو قلت لكم في هذا المكان الآن، نريد أن ننقل هذا الدولاب الذي فيه هذه الكتب، ومكان الكراسي الآن الجلوس، في ظرف دقيقتين فقط، أو خمس دقائق، دعونا نقول: خمس دقائق، في ظرف خمس دقائق، نريد نقل المكتبة من هاهنا إلى هاهنا، وكراسيكم تأتي هنا، والديكور هذا أنا سأنقل كرسيي إلى هذا المكان في خمس دقائق، كيف سيكون شكل المكان؟ فوضى، وهذا يقول: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 40]، هذه حركة العين قبل أن ترجع الجفن إلى الجفن، سيأتيك عرش بلقيس، وهو كأنه مستقرٌ عندك.

• هذا الرب العظيم، الذي أقدر هذا الذي عنده علمٌ من الكتاب، أن يأتي بالعرش بهذه الصورة، قادر على أن يسري بجسده الشريف -صلوات الله وسلامه عليه-، وأن يعرج به إلى السماء، لكن هذا تغلظٌ عنه كما قال ابن القيم -رحمه الله- في "زاد المعاد"، القلوب الكثيفة، التي لم تؤمن بقدرة الله -عز وجل-، أو أعجزها هذا التصور، كما أقدر الله الأرواح أن تنتقل من مكانٍ إلى مكانٍ، فالذي نقل الأرواح ينقل الأجساد، إذا كنا نصدق أن الروح في السعودية، في اليمن، في بنين، في ساحل العاج، قد تسري إلى أقطار الأرض، والجسد في مكانه، لماذا لا نؤمن بأن الله قادرٌ أن ينقل هذا المكان بقدرته.

• كيف وقد ركب البراق، كما أشار المؤلف -رحمه الله- الآن، يقول: "على الصحيح من قولي الصحابة والعلماء، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ركبًا البراق، في صحبة جبريل -عليه السلام-".

• جاء في وصف البراق في الصحيح: دابةٌ عظيمةٌ، حَطُّوْهُ، يعني الخطوة التي ينتقل منها من بقعةٍ إلى بقعةٍ، تمتد إلى منتهى بصره، يعني الآن الحصان عندما يعدو، كم مسافة العدو؟ مترين ثلاثة أربعة محدودة، لكن هذا البراق

أقدره الله -عزَّ وجلَّ- أن تكون خطواته الواحدة، من موضع القدم إلى الموضع الآخر منتهى بصره، الخطوة الثانية منتهى البصر، هذا في ثوانٍ يصل إلى الشام، وأنت إذا لاحظت أن هذا سيسري في فضاء، وليس أمامه جبالٌ ولا سهولٌ، ولا وهادٍ، فتبارك الله العليم القوي القدير -عزَّ وجلَّ-.

يقول: "فنزَّلْ ثُمَّ" يعني نزل في بيت المقدس، "وَأَمَّ بِالْأَنْبِيَاءِ بَيْتَ الْمَقْدَسِ فَصَلَّى بِهِمْ".

وهنا يتساءل بعض الناس: كيف أمَّ بهم؟ أمَّ بهم تعني: بأرواحهم هنا؛ لأن أجسادهم كانت مدفونة في الأرض، ولأزالت، حتى يبعث الله من في القبور، فإذا تشكَّلت أرواحهم في صورة أجسادهم، الله شكَّل الروح في صورة جسدٍ، قد تقول: كيف هذا؟ أقول: مع الله لا تسأل كيف، لكن هنا مع ذلك سأجيب، أليس الله -عزَّ وجلَّ- أقدر جبريل، وهو الذي خلق من نورٍ، أن يتشكل في صورة رجلٍ؟ بلى، أليس كذلك؟ الذي شكَّل هذا الجسم النوراني، ليكون جسمًا إنسانيًا في جسمان إنسي، قادرٌ على أن يشكِّل روح النبي لتكون بشرًا سويًا، وجسده موجودٌ في قبره، وهذا يفسِّر لك معنى قوله -عليه الصلاة والسلام-: «رَأَيْتَ مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ»، جسده ممدودٌ، لكن الذي يصلي روحه، فهم في نعيمٍ -عليهم الصلاة والسلام-، بل هم أعظم الخلق نعيمًا في الحياة البرزخية.

ولاحظ لم يُذكر عنهم غير الصلاة، وهذا لأن الصلاة أحب عبادةٍ فرضها الله -عزَّ وجلَّ- بعد التوحيد على جميع الأنبياء والمرسلين، يصلون حتى في قبورهم -عليهم صلوات الله وسلامه-، وقد جاء هذا في حديثٍ عند الإمام أحمد، جودٌ إسناداه بعض أهل العلم: «الأنبياء يصلون في قبورهم».

يقول: "ثم عرج به" إذن الآن انتهت قصة الإسراء، وقد رُبطَ البراق كما في الصحيح بحلقةٍ في بيت المقدس، ولذلك الآن لو دخلت على "Google" عن طريق "Google earth" وطلبتَ مثلاً صورةً للمسجد الأقصى، وبدأت تتعرف على أماكن الأبواب، ستجد هناك بابًا في المسجد الأقصى، اسمه باب البراق، لماذا سميَّ باب البراق؟ نسبةً إلى هذه الدابة التي رُبطَ بحلقةٍ من حلقات ذلك الباب، فمن تلك البقعة عُرِجَ برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء.

فلما عُرِجَ به إلى السماء، لقي الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كما في حديث أنس في الصحيحين، وفي حديث أيضًا أبي ذر -رضي الله تعالى عنه-، وغيرهم من الصحابة، الذين رَوَوْا حديث المعراج، وهو حديثٌ متواترٌ عند أهل العلم، وممن وافق ابن كثيرٍ على أن الصحيح العروج بجسده وروحه، أئمةٌ حفاظٌ، كابن القيم، وكذلك الحافظ ابن حجر، وغيرهم من أهل العلم -رحمة الله عليهم-.

رأى في السماء الدنيا آدم، ثم رأى يحيى وزكريا، ثم رأى يوسف -عليه السلام-، ثم رأى إدريس، ثم رأى موسى وهارون، ثم رأى نوحًا -عليه الصلاة والسلام-، ثم إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في السماء السابعة.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «وَصَلَّتْ إِلَى مَسْتَوًى سَمِعَتْ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ»، يعني: صوت الأقلام وهي تكتب المقادير التي أمرها الله -عزَّ وجلَّ- به، وبلغ موضعًا لم يبلغه بشرٌ، وكَلَّمَ الله كِفَاحًا من غير واسطةٍ، لكن من وراء حجابٍ، كما سيأتي في مسألة الرؤية بعد قليل.

وهنا قد يقول قائلٌ: مادام أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قد كَلَّمَ الله -عزَّ وجلَّ- من دون واسطةٍ، لماذا اختصَّ موسى بين الأنبياء بوصف "كليم الرحمن"؟ لما لم يوصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كليم الرحمن؟

- **السبب:** هو أن بداية نبوة موسى كانت بتكليم الله له مباشرة، يعني بداية النبوة والرسالة بدأت بمكالمة الله، أو بكلام الله -عز وجل- ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: 9]، ثم بعد ذلك بدأ جبريل ينزل، بينما بقية الأنبياء، بما فيهم رسولنا -عليه الصلاة والسلام-، كانت بداية الوحي له: نزول جبريل، قد يقع الكلام بعد ذلك بينه وبين الله، كما في حديث المعراج، وكما هو ظاهر قصة نوح في سورة هود، قال: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: 46]، وغير ذلك من القصص التي تدل على مخاطبة الله -عز وجل- لبعض أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- مباشرة من دون واسطة.
- إذن سمي موسى كليم الرحمن؛ لأن أول بداية الرسالة كانت بكلام من الله ، ولذلك الله قال: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].
- يقول -رحمه الله-: "ورأى عندها جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها"، هذا أحد المواضع، والموضع الثاني: كان عندما عاد الوحي بعد فتوره، كما سبق معنا في درسٍ ماضٍ، رآه مرتين، وقد رأى له ستمائة جناحٍ، سادَّ عِظَمَ خلقه ما بين السماء والأرض، هذا مَلَكٌ من الملائكة، فكيف ببقية الملائكة؟
- ويقال في الآثار: إن جبريل لما أمره الله -عز وجل- بقلب قرى لوط، قليم بطرف جناحه فقط، فصار عاليها سافلها.
- يقول: "وفرض الله عليه الصلوات في تلك الليلة"، في قصة مشهورة، وفي آخرها قال الله تعالى: «إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»، كانت خمسين، ثم خُفِّ، خُفِّ، حتى وصف إلى خمسٍ صلاة، فهي خمسٌ في العمل، وخمسون في الميزان، فله الحمد على فضله ومنته.
- ثم انتقل المؤلف -رحمه الله- إلى موضوعٍ آخر، له صلةٌ بقضية المعراج، وهي: هل رأى ربه -عز وجل- أم لا؟ والمقصود بالرؤية هنا، ألخص الكلام فيها في نقطتين:
- المقصود بالرؤية هنا: رؤية عيني الرأس، هل رأى ربه أم لا؟ وابن تيمية -رحمه الله- يحكي الاتفاق، وهو ما يوحى به أيضًا كلام الدارمي -رحمه الله-، أن العلماء بل غير ابن تيمية، أئمة الإسلام في مسألة الرؤية يقررون بأن من مواضع الإجماع عند السلف، أن الله تعالى يرى في الآخرة، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23]، ﴿عَلَى الْأَرْوَاحِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: 23] إلى آخره.
- المسألة التي معنا هنا، هي: هل رأى ربه بعيني رأسه أم لا؟ ابن تيمية يقول: إن المحكي عن الصحابة، هو: اتفاقهم على أنه لم يره به بعيني رأسه، وإنما الذي وقع الخلاف فيه، هو: هل رأى ربه بقلبه أم لا؟ يقول: "فصح"، لاحظ ابن كثير يقول: "فصح عن ابن عباس أنه قال: رأى ربه، وفي رواية عنه: رآه بفؤاده".
- إذن هذه الرواية تفسر الرواية الأولى، وهي أن رؤيته كانت قلبية لا بصرية، وبهذا تتفق أقوال الصحابة، ولهذا قال: "وفي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أنها أنكرت ذلك على قائله، وهو من؟ مولاها مسروق، قالت: يا مسروق، من زعم أن رسول الله قد رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله -عز وجل-".
- وثبت عنه عن ابن مسعود أنه قال: "إنما رأى جبريل" يعني بعيني رأسه رأى جبريل، لكن بقلبه رأى ربه -عز وجل-، واستدل المؤلف -رحمه الله- بحديثٍ في صحيح مسلمٍ: عن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- أنه قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هل رأيت ربك؟ قال: «نورًا أنى أراه»، وفي رواية: «رأيت نورًا».

- والإمام أحمد -رحمه الله- يرجّح أن هذا الحديث من قول أبي ذر، لا من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيكون هذا قولاً، أو صحابياً آخر، يضاف إلى ابن مسعود، وعائشة، وهو أنه لم ير الله، وإنما رأى نوراً، ويؤيد هذا حديث أبي موسى في صحيح مسلم، قال: قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأربع كلمات: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار» إلى أن قال: «وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحانه وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، والله تعالى بصره لا يحده حدٌ، فهذا واضحٌ في أنه لو كُشف لأحرق، ولولا أن الله -عزَّ وجلَّ- أعطى المؤمنين في الآخرة قدرةً على رؤيته، ما استطاعوا أن يروه، وموسى -عليه السلام- لما طلب رؤية ربه، قال: ﴿رَبِّ ارْنِي﴾ أنظر إليك قال لن تراني ﴿[الأعراف: 143]، لماذا؟ لأن خلق الإنسان في هذه الدنيا عاجزٌ عن تحمل أن يرى ربه -عزَّ وجلَّ- العظيم الجليل -تبارك وتقدس-، فأراد الله أن يريه آيةً، تبين له أنه لا يستطيع أن يتحمل ذلك، قال: سأريك فقال: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143] خلقُ الجبل أعظم بنص القرآن، ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57]، قال: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143]، قال ابن عباس: "لم يكشف الله -عزَّ وجلَّ- من نوره إلا قدر الظفر"، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: 143] أصبح كثيباً مهيباً، هذا الجبل العظيم، ومع هذا صُنع موسى من اندك الجبل ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].
- المهم ابن كثير -رحمه الله- علّق هنا وقال: "فهذا الحديث كافٍ في هذه المسألة"، ونكتفي بهذا القدر في هذه المسألة، وهي رؤية الله -عزَّ وجلَّ-، والخلاصة فيها: أن الصحابة -رضي الله عنهم-، كما قال ابن تيمية: "ليس فيهم من يقول إنه رأى ربه بعيني رأسه"، وإنما الخلاف: هل رأى ربه بقلبه أم لا؟ وجمهورهم على أنه رأى نوراً فقط، أنه رأى نوراً ولم يره -عزَّ وجلَّ-.
- ثم انتقل ابن كثير إلى الحديث عن آثار هذه القصة، وهي قصة المعراج، فقال: "ولما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم لهم، وأذاهم، واستجروهم عليه"، يعني يقولون: ما صدقناك أنك تقول الوحي ينزل علينا، تذهب في ليلةٍ وترجع، يعني يقولون: يذهب أحدنا في شهرٍ كاملٍ، ويعود في شهرٍ، وأنت تذهب في ليلةٍ وترجع في ليلةٍ، كيف يكون هذا؟ هم قاسوه بمقاييسهم البشرية، فذكروا ذلك لأبي بكر، فقال: "إن كان قاله فقد صدق"، هذا الصديق -رضي الله عنه-، ما يسأل على ذلك بينةً، قال: "إن كان قاله فقد صدق"، لأن عنده يقينٌ، الذي جعل الأرواح تنتقل كما ذكرنا قبل قليلٍ، والذي خلق السماوات والأرض، والذي أخبرنا بقصة سليمان، وعرش بلقيس، وحضوره بهذه السرعة، قادرٌ على أن ينقل محمداً، إن كان قاله فقد صدق.
- والله يا أيها الإخوة والأخوات، لا سبيل لراحة القلب مع هذه الأخبار الغيبية، إلا بالتسليم، قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته: "ولا يثبت إسلام المرء إلا على قدم التسليم"، هناك أخبارٌ لا تستطيع أن تتعامل معها إلا بهذا المعنى، وبهذا المقام، وبهذه المرتبة من مراتب العبودية، وهي مرتبة اليقين والتسليم والتصدق.
- قال -رحمه الله-: "وجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم ويقول: «من يحملني إلى قومه، فيمنعني» يعني يحوطني «حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ رسالة ربي»، هذا وعمه أبو لهب -لعنه الله- وراءه، يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب.
- والله يا إخوة، هذه طبعاً أيام الموسم، يقصد أيام الحج، والله ما أذكر أنني وقفت على سفوح جبال منى، إلا وتذكرت هذا المخزي الملعون أبو لهب، أقول بنفسي أين هذا الرجل؟ في نفسي هكذا، شعورٌ، أقول: ليته يقوم من

قبره، ليرى هذه الملايين، التي تقول: "أشهد أن محمداً رسول الله" فيهم الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، والحر والعبد، والصغير والكبير، والوزير والأمير والمأمور، والحاكم، والغني، والفقير، ومن كل أصقاع الدنيا، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، كلهم يقولون: **"أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله"**. أقول في نفسي: ليته يقوم؛ ليموت كمداً، وأنا أعلم أنه في عذاب الآن، لا يعلمه إلا الله، لكي أقول: أين ذلك المخدول، يمشي وراء النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ليحذر الناس، ثم أين ماله، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: 3].

ولهذا نقول: انظر إلى نعمة الله -عز وجل- على العباس، ونعمة الله -عز وجل- على حمزة، أسد الله ورسوله، سيد الشهداء، والعباس، أكرمه الله -عز وجل- بالإسلام، وصار ناصراً للنبي -صلى الله عليه وسلم-، بل حتى كما سيأتي -إن شاء الله- في بيعة العقبة، كان ردءاً ومعيناً للنبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض القضايا؛ لأنه لما جاءه قوم يثرب، قال: دعني أرى وجوههم فأني أعرف أهل يثرب، أنا أعرف الصادق منهم والكاذب، أعرف كذا وكذا، فصار يساعده مع أنه لم يكن على دينه قومه في ذلك الوقت.

يقول: **"فكان أحياء العرب يتحامونه"** يعني: يُبعدون، لا يريدون أن ينصروه، لماذا؟ لما يسمعون من قريش عن أنه كذابٌ وساحرٌ وكاهنٌ وشاعرٌ، أكاذيب يقذفونها بهم من تلقاء أنفسهم، فيصغي إليهم، من لا تميز له من الأحياء، وأما الألباء يعني: العقلاء، إذا سمعوا كلامه، وتفهموه، شهدوا بأن ما يقوله حقٌّ، وأنهم مفترون عليه، فيسلمون.

ولهذا أقول للإخوة والأخوات: لا تستبعد، نستفيد من هذا المقطع: **أن تكون العداوة تأتيك من أقرب الناس نسباً إليك، قد يكون في دعوتك إلى الله -عز وجل-، قد تواجه أذى من أقرب الناس إليك، من أبٍ، من أخٍ، من عمٍّ، من خالٍ، ولهذا الله -عز وجل- ذكر هذه الفتنة في صدر سورة العنكبوت، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: 8] الآيات، ما وجه الفتنة هنا؟**

وجه الفتنة أن الوالدين هنا يدعوانه إلى الكفر، فيصعب عليه هنا عندنا محبة عاطفية، وعندنا أمر شرعي بالإسلام والتوحيد، فيقع عنده نوعٌ من الصعوبة، أو المشقة النفسية، وقصة إسلام أم سعد، وقصة إسلام أم أبي هريرة، كلها شواهد على هذا، فالداعية هنا في مقام الوالدين، يتعامل معهما كما أمر الله -عز وجل-: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15] لكن ﴿إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: 15].

بقية الأقارب يصانعهم، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، قدر الإمكان، لكن من واجبه بالعداوة، واضطره إلى الأذى، فيتعامل معه بما يليق، لكن القصد من هذا أن الإنسان لا يستغرب أن يأتيه الأذى من أقرب الناس إليه، وأن يكون الناصر له في دعوته، أناسٌ بعيدون عنه، ألم يؤيده الله -عز وجل- ببلالٍ من الحبشة؟ وبصهيب الذي قديم من الروم؟ وقد قلنا لكم إن أصله من اليمن، لكنه جاء إلى الروم، وسلمان الفارسي، وهذا معنيٌ يجب أن يتنبه وأن يتهيأ له الداعية، ولا يستغربه، فلست أنت أفضل من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي أوزي من أقرب الناس إليه، لكن عليك أن تصبر وتصابر.

بعد هذا يبدأ الحديث الآن يتجه إلى إرهافات الهجرة، والمقدمات التي سيذكرها المؤلف -رحمه الله- قبل الحديث عن هجرته -عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة.

- الله -عزَّ وجلَّ- هياً له من الأحداث والمواقف التي استعان بها على تأسيس جماعةٍ تنصره إذا قدم إليهم، لأنه يصعب، وهذه من حسن الترتيب للدعوة، ومن حسن الترتيب لنصرة الدين، أن يكون الإنسان يرتب أموره، إذا أراد أن ينتقل إلى مكانٍ آخر، ويغيّر البيئة التي هو فيها، كيف حصل هذا الترتيب؟
- هو الآن في مكة أؤدي من هؤلاء الجماعة، طيب لو ذهب إلى المدينة، من دون أي ترتيب، ومن دون أي تخطيط، قد يكون العداء أشد، فإذا كان جماعته آذوه، والطائف أيضاً آذوه، فلا بد أن يهياً الأسباب، فكانت من تقدير الله -عزَّ وجلَّ- لهم ما يذكره ابن كثير الآن في قضية التهيئة بأن ساق الله إليه قومًا سماهم الله تعالى الأنصار، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: 9]، وأيضاً سماهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، عفوًا النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي سماهم الأنصار، وهم الأوس والخزرج.
- فيقول -رحمه الله-: "وكان مما صنع الله لأنصاره من الأوس والخزرج"، الأوس والخزرج هؤلاء أبناء حارثة، وهؤلاء قبيلة كهلانية قحطانية، أوصلهم ترجع إلى اليمن، وأمهم اسمها قبيلة، هذا الحارث له ولدان، أوس وخزرج، فتُنسب إليه جميع بطون الأنصار، إلى هذين الفريقين.
- وكان من صنع الله -عزَّ وجلَّ- لهؤلاء، واختيار الله تعالى لهم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68] أنهم كانوا يسمعون في المدينة، يقول ابن كثير من حلفائهم من يهود المدينة، أن نبيًا مبعوثًا في هذا الزمن، ويتوعدونهم به إذا حاربوهم ويقولون: إنا سنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم، ظنوا أنه سيخرج منهم، ما توقعوا أنه سيخرج من العرب.
- يقول: وكان الأنصار يحجون البيت، كما كانت العرب تحجه، أما اليهود فلا، لأنهم لا يرون غيرهم شيئاً أصلاً.
- فلما رأى الأنصار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى الله تعالى، ورأوا أمارات الصدق عليه، قالوا: والله هذا الذي توعدتكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، وهنا في هذه الجملة لفتة، يعني غير ما أكرم الله -عزَّ وجلَّ- به الأنصار، وهو قضية الاستفادة من المعلومات الموجودة عند الخصوم، يعني الآن اليهود عندهم أثرٌ من آثار الكتاب، ومعلومات تدل على أنه سيبعث نبي، وموقنون بهذا، لكنهم ما كانوا يتوقعون أن يُبعث ماذا؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89].
- فهؤلاء لما أيقنوا بأنه سيُبعث نبي، وأيضاً عرفوا في ما يبدولي أنه خاتم، لن يُبعث نبي بعده، مقتضى الخاتمية له أن ينتصر، ولا بد، حتى ولو بعد حين، فكان من توفيق الله لهم أنهم سبقوا، ومن خذلان الله لهؤلاء اليهود، الذين كتموا ما كتموا، وحرفوا وبدلوا، أنهم لم يكن لهم نصيبٌ إلا العداء لله ولرسوله، ولم يُسلم منهم إلا قليل.
- يقول ابن كثير: "وكان سويد بن الصامت" عند الآن سيذكر المؤلف رجلين "كان سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن أوس، قد قديم مكة، فدعاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يُبعد ولم يُجب"، يعني لا حارب، ولكنه لم يستجب، ثم انصرف إلى المدينة، فقتل في بعض حروبهم، وكان سويد هذا ابن خالة عبد المطلب، عبد المطلب من هو؟ جد النبي -عليه الصلاة والسلام-.
- "ثم قديم أبو الحيسر أنس بن رافع" في فتية من قومه، من بني عبد الأشهل، يطلبون الحلف، حلفٌ معروفٌ في العرب أحياناً قد تكون قبيلةً صغيرة، أو قبيلةً تخشى من غزو قبيلةٍ أكبر منها، فيتحالون مع مجموعةٍ من قبيلةٍ أو أكثر، ويكون الحلف مقتضاه النصرة، يقولون: تنصروننا إن اعتدى علينا أحدٌ، ونحن ننصركم إن اعتدى عليكم

أحد، يقول: فدعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الإسلام، فقال إياس بن معاذ منهم، كان شاباً صغيراً: "يا قوم، هذا والله خير مما جئنا له"، هم جاءوا يطلبون حلقاً، حلف قبيلة، حلقاً مع قريش، حلف نصره، مثل ما تسمى اليوم معاهدات دولية، أو التعاون في المجال العسكري، التعاون في المجال الأمني، التعاون في المجال الاقتصادي، هكذا تحالفات، لكنها تسمى بأسمائها.

- يقول: **"فضربه أبو الحيسر"** أبو الحيسر كان رجلاً كبيراً، وجاء في رواية عند الإمام أحمد: أنه رمى تراباً في وجهه، ونهره، فسكت، ثم لم يتم لهم الحلف، لا هم الذين أسلموا، ولم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى المدينة، فيقال: إن إياس بن معاذ هذا مات مسلماً، وقد جاء هذا في رواية عند الإمام أحمد، أن إياس بن معاذ هذا مات مسلماً، والله أعلم.
- ثم إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لقيه عند العقبة، هذا الآن التحول الكبير في مسألة تهيئة الأنصار في المدينة، لما جاء أحد المواسم، قبيل الهجرة بقليل، عند العقبة، العقبة ما هي؟ التي عند الجمرة الكبرى، في منى الآن، هذه تسمى العقبة الكبرى، في الموسم، في الحج، جاء نفر من الأنصار، كلهم من الخزرج، ولاحظوا الآن أسماؤهم ملونة باللون الأحمر على الشريحة، أولهم: أبو أمامة، أسعد بن زرارة، الثاني: عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رثاب.
- هؤلاء الستة دعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الإسلام، فأسلموا مبادرة إلى الخير، أعجبني تعليق ابن كثير هذا **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾** [الواقعة: 10] **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾** [الحديد: 10]، لكن المبادرون لهم الفضل والسبق.
- توقفنا عند قوله: **"فأسلموا مبادرة إلى الخير، ثم رجعوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام، ففشى الإسلام فيها، حتى لم تبق دار إلا وقد دخلها الإسلام"**.
- لا يعني أن كل الناس أسلموا، لكن ما من دار من الدور، دار بني عبد الأشهل، ودار بني النجار، ودار بني كذا وبني كذا وكذا، إلا ويوجد فيهم أناس أسلموا، ثم لاحظوا، لما كان العام المقبل، جاء منهم اثنا عشر رجلاً، الآن عندنا ستة، تضاعف العدد، الستة الأوائل إلا جابر بن عبد الله بن رثاب، ومعهم لاحظوا الآن عندنا ستة جدد، معاذ بن الحارث بن رفاع، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، هؤلاء العشرة، الذين هم هؤلاء الأربعة، مع الستة السابقين، كلهم من الخزرج.
- قال: **"واثنان من الأوس، وهما: أبو الهيثم بن التيمان، وعويم بن ساعدة"** كل هؤلاء بايعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كبيعة النساء، ما معنى كبيعة النساء؟ أي أنه لا قتال فيها، بيعة لا قتال فيها، إنما هي بيعة على أن ينصروه إذا جاء إليهم، لكن لا قتال في مكة، كما سيشير إلى ذلك ابن كثير.
- يقول: **"فلما انصرفوا إلى المدينة، بعث معهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمرو بن أم مكتوم الأعمى، ومصعب بن عمير"**، لاحظوا أمامهم مهمتان: الأولى، يعلمان من أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلى الله -عز وجل-.
- قال -رحمه الله-: **"فنزّل على أبي أمامة، أسعد بن زرارة، أحد أكابر الأنصار، وكان مصعب بن عمير يؤمهم، وقد جمّع بهم يوماً بالأربعين نفساً"**، يعني لما اكتمل العدد أربعين جمّع بهم، وعلى هذا استند الإمام أحمد والشافعي في

أن الجمعة يُشترط لها أربعون في المشهور من المذهب، بناءً على هذا، وإن كان المسألة فيها خلافٌ بين أهل العلم، ليس موضع ذكره.

• قال: فأسلم على يديهما بشرُّ كثيرٍ "الله أكبر، منهم كبار الأنصار، أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، الذي اهتز لموته عرش الرحمن، أسلم على يد من؟ على مصعب بن عمير، الشاب المكي المنعم المترف، الذي ترك حياة النعيم، وحياة الترف، مهاجرًا إلى الله ورسوله، وأسلم على يديه هذان الإمامان العظيمان، أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ سيدا الأوس والخزرج.

• انظر كيف بركة الدعوة، يقول ابن كثيرٍ: "وأسلم بإسلامهما يومئذٍ جميع بني عبد الأشهل، الرجال والنساء"، كلهم، كل هؤلاء في ميزان حسنات مصعب بن عمير، قال: إلا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحدٍ، فأسلم يومئذٍ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدةً.

• ولهذا من الأسئلة في السيرة، يقولون: **من هو الصحابي الذي لم يسجد لله سجدةً ودخل الجنة؟**

هو هذا، عمرو بن ثابت بن وقش -رضي الله عنه-، لأنه أسلم الضحى، أو الصباح، ثم دخل المعركة، فقتل -رضي الله عنه-، لم يدرك أي صلاةٍ، وهذا مصداق قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، والحمد لله هذا كثيرٌ، بعكس الأول، الذي يعمل بعمل أهل الجنة، ثم لا يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، هذا والله الحمد قليلٌ، لكنه يأتي بين الفينة والأخرى، ليرسل رسائل للناس أن تعلقوا بالله وسلوه الهداية.

• ثم قال: "فأخبر عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه عمل قليلًا، وأجر كثيرًا".

• يقول: "وكثر الإسلام بالمدينة، وظهر، ثم رجع مصعب إلى مكة، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثيرٌ من الأنصار، من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معروف -رضي الله عنه-، فلما كانت ليلة العقبة، الثالث الأول منها، تسلل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان"، كم صار المجموع؟ خمسة

وسبعون، فبايعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خفيةً من قومهم، ومن كفار مكة، على ماذا؟ قال: على أن يمنعوهم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم، هذه كناية عن شدة الدفاع، فكما أنا أحمي عرضي، وأحمي أبنائي، وأحمي نفسي أحميك، لكن متى هذا؟ إذا قديم إليهم، أما وهو في مكة لا سلطان لهم، لأنهم من الأنصار، غرباء، لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا.

• يقول: "وكان أول من بايعه ليلة إذ البراء بن معرور".

• انظر تعليق ابن كثير اللطيف الجميل الرائع: "وكانت له اليد البيضاء"، أنا أضفت باللون الأخضر، لعل المخرج يكبر الشاشة مشكورًا، كلمة "المبادرة"، وهذه من أعظم سمات العظماء "المبادرة"، قبل قليلٍ تحدثنا عن المبادرة، هنا نتحدث عنها، قال: "إذ أكَّد العقد وبادر إليه"، كيف؟ هنا المؤلف جاء بها باختصارٍ، هو لما جاء هؤلاء يريدون البيعة، جاء أسعد بن زرارة الذي سبق ذكره قبل قليلٍ، فلما أرادوا البيعة، وضع يده على يد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: يا قوم: انتهوا إلى شروط البيعة، إنكم إن بايعتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رمتكم العرب عن قوسٍ واحدةٍ، وهذه البيعة ثمرتها عظيمةٌ، ترميكم العرب عن قوسٍ واحدةٍ، ويفعلون بكم، ويفعلون

بكم، فكأنهم استعظموا هذا منه، فقال له، هذا الشاهد، هذا الذي جعل ابن كثير يقول هذا الكلام، قالوا: "أُمت عَنَّا يدك، فوالله لا نستقبل هذه البيعة ولا نقيبلها" فبياعوا -رضي الله عنهم- واحدًا واحدًا، وقد كتب الله -عزَّ وجلَّ- على أيديهم الخير العظيم.

• هنا نلاحظ صورةً من صور إعانة الله -عزَّ وجلَّ- للنبي -صلى الله عليه وسلم- لبعض أقاربه، وإن لم يكونوا مسلمين، يقول ابن كثير: "حضر العباس عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مؤثِّقًا مؤكِّدًا للبيعة، مع أنه كان بعد على دين قومه.

• واختار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهم تلك الليلة اثني عشر نقيبًا يعني أشبه ما يكون بالرئيس والأمير على مجموعة من جماعته، لأن هذه بيوت الأنصار، وهذه من حسن الترتيب والتنظيم، وهذا من التخطيط المبكر لتنظيم الدولة المسلمة، التي سيقدم إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- في المدينة، حتى إذا جاء ما تكون المسألة فوضى، كلُّ يتقدَّم، أنا، أنا، أنا، عيَّتهم وهو في مكة -عليه الصلاة والسلام-، حتى إذا جاء وإذا الأمور كلها قد رُتبت وهُيئت لبدء النبي -عليه الصلاة والسلام- بمهام جديدة، فقال: وهم أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة الصحابي المشهور الشاعر، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر، وكان أسلم تلك الليلة، وسعد بن عباد، والمنذر بن عمرو بن خنيس، وعبادة بن الصامت، يقول: هؤلاء تسعة من الخزرج، تلاحظون الكثافة لقبيلة الخزرج، أكثر من الأوس، قال: ومن الأوس ثلاثة، أسيد بن الحضير، الذي أسلم على يد مصعب، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير، وقيل: بل أبو الهيثم بن التيهان مكانه، ثم الناس بعدهم.

• والمرأتان استمعا أيتها الأخت الكريمة، انظري إلى أثر المرأة في الدعوة، المرأتان: أم عمار، نسيبة بنت كعب، بن عمرو، وهي التي قتل مسيلمة ابنها، حبيب بن زيد بن عاصم، انظروا كيف المرأة المسلمة قد لا تبادر وتباشر بعض الجوانب كالجهاد ونحو ذلك، لكن يُخرج الله من أرحامها من ينصر دين الله -عزَّ وجلَّ- بالجهاد، والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى-.

• المرأة الثانية هي: أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، يقول ابن كثير: "فلما تمت هذه البيعة، استأذنوا" انتبهوا لهذا "استأذنوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أهل العقبة" يعني يريدون أن يقتلوهم، فلم يأذن لهم، لماذا؟ لأن هذا التوقيت خطأ، هم قلةٌ مستضعفون في الأرض، فعليمهم ماذا؟ أن يعبدوا الله، أقسموا الصلاة، وآتوا الزكاة، كفوا أيديكم.

• يقول: "بل أذن للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلى المدينة" لاحظتم الإرهاصات التي تقدمت الهجرة، يقول: "فبادر الناس إلى ذلك، فكان أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة أبو سلمة"، كيف تمت الهجرة؟ من أول من هاجر؟ ماذا بعد ذلك؟ أسئلة -إن شاء الله تعالى- نبتدئ إجابتها في الحلقة القادمة، فكونوا معنا، إلى أن نلتقاكم، أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

